ولدت في نهاية القرن التاسع عشر. وبذلك فقد سبقت «الصهيونيةُ الأدبية» الصهيونيةَ السياسيةَ وبشّرت بطروحاتها.

ومن الغبن بمكان التمييز بين النشاط الادبي، والنشاط السياسي للصهيونية، لأننا لو نظرنا الى الدور الكبير الذي لعبته الصهيونية السياسية للمسنا الدور الهامّ والفعّال الذي لعبته الاعمال الادبية في النشاطات الاولى للحركة الصهيونية التي لم تتركز في محاولات التنظيم، أو التنظير للطروحات، أو محاولات رسم المنهج السياسي، بل تركّزت، أساساً، في مجالات الادب بمختلف أنواعه. تلك الانواع التي استطاعت ان تبني كياناً جنينياً للصهيونية السياسية، وذلك من خلال الابداعات الادبية المتنوّعة وخصوصاً الرواية والشعر، وتراكمات مراميها وأبعادها، التي تأطرت في نتاج روائيين وشعراء مثل مناحيم دوليتسكي، وك. أ. شبيرا، وم. ص. مانا، وحاييم بياليك، وتشير نيخوفسكي... وغيرهم.

وقد لمست الحركة الصهيونية منذ ولادتها، أهمية التعبير الادبي كمجال تستطيع ان تعكس، من خلاله، مواقفها وطروحاتها، حتى غدا من تقاليدها أن يرافق لكل زعيم سياسي قلم أدبي، إنْ لم يكن هو نفسه صاحب هذا القلم، ممّا أدّى الى تأطر شبكة من العلاقات بين الأدبي والسياسي في إطار الحركة الصهيونية. وبالفعل فقد تميّز عدد من زعماء الحركة الصهيونية باسهامات أدبية شكّلت علامات فارقة في الادب الصهيوني وعمّقت شبكة العلاقات بين ما هو أدبي وما هو سياسي. «وقد انعكست هذه الشبكة بصورة تامة في شخصية ونشاط أحاد هعام، هذا الأديب القائد الذي تمتّع بمكانة التأثير الحاسم في الأدب العبري وفي الحركة الصهيونية معاً، ولم يكن الجمع بين المكانة الادبية المرموقة والصلاحيات الشعبية جمعاً بين عنصرين مستقلين في هذه الشخصية. فقد ظهر العنصران وفهما على أنهما وجهان لعملة واحدة»[1]. من هنا لوحظ ان المواقف والاتجاهات التي اتخذها الادباء العبريون بمختلف درجات حماسهم أو فتورهم تجاه هذه القضية أو تلك، قد صبّت كلها، في طروحات الحركة الصهيونية تأييداً، وتجذيراً، ومحاكاة.

لكن وبحكم الطبيعة الخاصة للصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي الذي انفجر منذ بدايات هذا القرن، لم يستطع الادب العبري انقاذ نفسه من التوترات الاجتماعية والسياسية التي ظهرت كحقيقة فعّالة، وواقعية، وأفرزت، بالتالي، أزمات تجسّدت في نتاجات الادباء العبريين، مثل أزمة الهوية، وأزمة العلاقة مع الذات ومع الآخر.

ولكون المجتمع الاسرائيلي تشكّل من اختلاطات متعددة ومزيج متنوع من يهود العالم، فقد انطوت تعددية الادباء بمختلف اتجاهاتهم، ونتاجاتهم الابداعية، على اختلافات في المناهج والرؤى، التي إستمدت، أصلاً، من إرث المناهج الذي كان سائداً في اوروبا، في خلال القرن التاسع عشر.

وهذا الامر ساعد على تكريس وتعميق الازمات بين المبدِع والمبدَع في آن.

وبدلاً من ان يفجر الادباء والمبدعون العبريون إشكالياتهم وأزماتهم هذه في فترة مبكرة، راحوا يتفاعلون مع ما يصدر عن الصهيونية السياسية، بمحاكاة ابداعية ارتكزت الى ارث ثقافي مشتت، غريب، قادم الى أرض جديدة عليه، بانسانها، المغيب في الفكر الصهيوني.

وكم تغنّى الادب العبري بمقولة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض». تلك المقولة التي أطلقها فكر مأزوم بغية ايجاد معادل موضوعي له في الواقع، على اعتبار انه كان مطروداً من أوروبا، مُلغى كـ «آخر» فحاول الغاء «الآخر» تقيضه الفلسطيني تماماً عن الارض. ولقت المقولة هذه استحساناً وتجاوباً واسعين عند السياسيين، وكذلك الادباء الذين لم يستلهموا «الارض» في ابداعاتهم